مقالات في فكرة التـــقدم
بقلم محمد الناصر النفزاوي

النبـــي محمـد (570-632)

و

والقوتان العظميان فارس وبيزنطة وملحقاتهما

الفصل الثالث

بين قسطنطيـــن وســـابور "ذي الأكتـــاف"

مكّن تنصر الدولة الرومانية الدين المسيحي من إمكانات تبشيرية ضخمــة فازداد انتشارا في منطقة النفوذ الروماني وبلغت دعوتــه أمما جديدة في المناطق القريبة من هذا النفوذ. وأفضل مثال يمكن أن يضرب على هذا الانتشار هو تنصّر الحبشـــة نتيجة النشاط التبشيري المصري واجتهاد المسيحيين في تنصير اليمن :

" فنحن نعرف أن جنوب الجزيرة قد تنصر منذ القرون الأولى. وقد روى روفين قصة تنصير المملكة الحميرية بين 326 و 360 م. لقد أراد ميروبيوس، أحد فلاسفة مدينة صور استكشاف هذا البلد رفقة شابين هما أيدسيوس وفرومينتوس .وفي أحد الموانئ قتل السكان ميروبيوس وبعثوا أيدسيوس وفرومينتوس أسيرين الى الملك انتقاما لحلف نقضه الرومان. وقد نال فرومينتيوس ثقة الملك عمرو وأصبح سكرتيره. وبعد موت الملك اعتنى بابنه وأصبح مستشار الملكـة بلقيس. وقد انتهز هذا المقام العلي لنشر الإنجيل فسامه القديس أتاناس بطريك الإسكندرية أسقفا للملكة "(1)

وإذا كانت هذه الأخبار تتحدث عن تبشير سلمي فان من الأخبار كذلك ما يفيد أن التبشير اتخذ إضافة الى الشكل السلمي شكلا عسكريا بحتا:

"فقد يكون ملك أثيوبيا قد استولى سنة 343 تقريبا على اليمن وعين عليها حاكما فتنصر السكان وبنوا كنائس كثيرة "(2).

فالإجماع حاصل حول ما كان لنجاح مسيحيي مصر في تنصير الحبشة من أثر كبير في تأجيج صراع ملك الملوك الحبشي (النجاشي) ضد الدولة السبئية التي انقسم سكانها الى متنصرين ومتهودين ووثنيين. وقد انتهى الضغط المسيحي الحبشي بالهيمنة على جزء من البلاد فتلقب الملك الحبشي بلقب ملك (أكسوم وحمير وريدان وحبشة وسلع وتهامة)(3).

إن ما قيل عن الحبشـــة وعن حمير في هذه الفترة يمكن أن يقال عن عدد من القبائل العربية شمال الجزيرة وعن أجناس أخرى تقع مواطنها قريبا من منطقة التأثير الروماني. غير أن انتشار المسيحية بهذا الشكل السريع على عهد قسطنطين (306-337) وخليفته كونستانس الثاني (337-361) في بيزنطة وخليفته كونستانس الأول في روما(337-350) إذا كان خدم الكنيسة والدولة الرومانية في الأمد البعيد فانه لم يخدمها في المدى القريب ذلك أن الغوط كانوا قد تجمعوا في هذه الفترة بفرعيهم اللاحقين الأستروغوط والفيزيغوط على حدود الإمبراطورية الرومانية الأوربية الوسطى واتخذوا ، وهم يتنصرون، من الأريوسية التي تنفي ألوهية المسيح مذهبا لهم. وفعلا فان الأسقف الأريوسي (نسبة الى أريوس القس الأمازيغي الليبي ت.336) أوليفلاس تمكن من نشر هذا المذهب بينهم وصاغ لهم كتابة ولغة سوف تمكنانهم من دعم خصوصيتهم الجنسية بخصوصية دينية لغوية ستحول دون قدرة بيزنطة وروما على ابتلاعهم وتفتح الطريق الى الخصوصية القديمة الحديثة التي تفرق بين اللاتين والشعوب السكاندينافية الأنقلوساكسونية.

والسؤل الذي لا بد من طرحه هنا هو لم تخطت الأريوسية الحواجز الجغرافية وأصبحت عقيدة بعض شعوب أوربا الوسطى في حين أنها لم تهيمن في مصر أو الشام القريبين ؟ إننا تكتفي بطرح السؤال وعرضه على من هو متمكن أكثر منا من هذه المسائل اذ أن غاية هذه الفصول إنما هي غاية تعليمية.

لقد كانت الأريوسيـــة بسبب توفر هذه المقومات الثلاثة (المذهب الديني واللغة والكتابة) أكبر خطر هدد المسيحية السنية فأريوس يذهب في فهم طبيعة المسيح مذهبا دفع المصري سيد قطب زعيم الإخوان المسلمين(19 - قتل 1965) الى أن يرى فيه أصلح معبر عن المسيحية القويمة (4) ودفع أحد المختصين في دراسة الإسلام المعروفين الى أن يقول قبل سيد قطب " إن أفكار الأريوسية المتعلقة بشخص المسيح كانت مطابقة تقريبا لما ستكون عليه أفكار الإسلام " (5) ذلك أن أريوس كان يرى أن الله واحد أحد لم يولد وليس في الإمكان أن يبث جوهره (سيبستانس) في مولود. فكل شيء ، باستثناء الله الواحد، إنما خلق بارادة منه يقول له "كن فيكون". وانطلاقا من هذا الفهم ليس في إمكان (الكلمة) أن يكون أكثر من مخلوق وان كانت ميزته ، حسب أريوس، أنه خلق قبل العالم وقبل الزمن. ويوضح أريوس قوله الأخير "قبل الزمن" دفعا لكل تأويل تأليهي للمسيح" " لقد كان زمن لم يكن فيه الكلمة موجودا" وإذن فالمسيح مخلوق

وسط بين الله والبشر وليس في إمكان البنوة أن تكون الا بالتبني "فهو أقل منزلة من الله وان كان أكمل من وجد ضمن المخلوقات"(6).

إن مذهب أريوس يعني نفي ألوهية المسيح.

والحقيقة هي أن اعتناق الغوط هذا المذهب يثير قضية المضامين الدينية (وغير الدينية) التي تفرغها الأمم المختلفة في ما يعرض عليها من مفاهيم. وهذه لمضامين تختلف من أمة الى أخرى لاختلاف تاريخها وثقافتها.وحتى في المجتمعات المعاصرة التي استفادت من تطور التقنية وانتشار التعليم، يصعب على المرء أن يقرّ أن القوم في تونس (بما تتضمّنه من مرتبية في الثقافة والوعي) وفي فرنسا وفي كينيا وفي إنجلترا الخ... يضمّنون مفهوم المجتمع المدني على سبيل المثال المضامين نفسها وذلك بالرغم من أن الجميع يردّدونه صباح مساء.

وقد يكون لبعد القوط عن البيئة الشاميّة المصرية التي تشعّب الجدال الفلسفي فيها أثر في اتجاههم الى اعتناق هذا المذهب القريب من الفطرة.

وعندما سيتمكن الو ندال مثلا من حكم شمال أفريقية طيلة قرن من الزمان (429-533) فإنهم سيفرضون هذا المذهب فرضا فلا ينقرض إلا بانقراضهم. على أن أثره قد يكون بقي حيّا عند جماعات من البربر فسهّل عليها اعتناق الإسلام.

ويكاد المرء أن يستغني عن القول إن المسيحية السنية في بيزنطة وروما وغيرهما من مراكز النشاط الديني المسيحي لا يمكن أن تقرّ موقف الأريوسيين. أما قسطنطين فقد كان ،باعتباره رجلا سياسيا ،أكثر انشغالا بتأثير هذه الانقسامات الدينية في قوّة الدولة ولذلك دعا الى عقد مجمع مسكوني (أي عالمي نسبة الى المسكونة أي الأرض) في نيقيّة سنة 325 اعتبر أول مجمع مسيحي عام للبتّ في هذه القضية. وقد انتهى المجمع الى إقرار أن "الابن هو من طبيعة الأب" أي الى إدانة الأريوسية.

لقد كان لهذا الحدث أهمية بالغة اذ أنه من ناحية أدان الأريوسية التي لم تكن مجرد تعبير عن رأي ديني تقول به أقلية ، بل كان تعبيرا عن "قراءة" للدين ضاربة في الفكر الفلسفي القريب من الطبيعيّة ولذلك فان هزيمتها الرسمية سنة 325 لم تكن إلا هزيمة مؤقتة اذ كان يعتنقها القوط ولسوف تتكون في بيزنطة نفسها مراكز قوى أريوسية بل إن الإمبراطور فالنس (364-378) خليفة ابن قسطنطين نفسه سيعتنق هذا المذهب إما عن ايمان صادق وإما مجاراة للضغط القوطي.ومن ناحية ثانية حدد هذا المجمع بشكل فظ العلاقة بين السلطة الزمنية (الإمبراطور) والروحية (الكنيسة) تحديدا يخضع المجال الديني لمصلحة الدولة:

"فأهمية المجمع ليس مردّها فحسب الى أنه ،وهو يصوغ لأول مرّة في تاريخ الكنيسة عقيدة الثالوث ، قد وضع أسس الديانة المسيحية العقديّة ولكنها تردّ كذلك الى أن السلطة الإمبراطورية تدخلت لأول مرة في مسألة عقدية فتحدّدت انطلاقا من ذلك كل العلاقات اللاحقة بين السلطتين الزمنية والروحية.وإذ أؤكّد على

لفظ الزمنية فذلك لأن قسطنطين تدخل في المسألة باعتباره سلطة زمنية فحسب بل انه يمكن القول انه تدخل باعتباره سلطة بوليسية اذ لا يبدو أنه كان يهدف الى غير الحفاظ على السلم والنظام داخل الكنيسة المسيحية التي أصبحت جهازا من الأجهزة الهامة في الإمبراطورية" (7)

إن علينا ،هنا، ومن دون خشية اتهام بالقفز فوق الأزمنة ، أن نشير على القارئ باستحضار دور معاوية بن أبي سفيان (603-680) في إقرار مفهوم " الجماعة" سنة 661 والمقارنة بينه وبين دور قسطنطين قبل ثلاثة قرون وربع القرن اذ لا تختلف ، في هذا الأمر بالذات، المسيحية السياسية عن الإسلام السياسي .

وإضافة الى هذين الناحيتين ، دفع اتجاه السلطة الزمنية الى ضبط مجال النشاط الديني الى تحديد منزلة كل مركز من المراكز الدينية في الإمبراطورية فتنزّلت كل من الإسكندرية وأنطاكية في المنزلة الأولى وتلتها القدس في المرتبة. وإذا كانت القسطنطينية قد "تعالت" عن هذا التنافس فان موقعها في بيزنطة مقرّ إقامة قسطنطين كان يفي بالطلب.

ومن المنطقي أن لا تنظر روما وتابعتها قرطاج في تامزغا) بيعيني الرضا الى هذه المرتبية التي ستكون لها نتائج خطيرة على العلاقات الدينية بين مراكز المسيحية في القرون اللاحقة (8).فهل يمكن الحديث ، هنا، والحال على ما وصفنا، عن "أعمال قسطنطين" باللغة التمجيدية التي يستعملها كثير من الديانيين واللائكيين عندما يتحدثون عن أعمال قسطنطين ؟

إن استعراض أهم الأحداث في عصر خلفائه في بيزنطة كونستنس(337-361) وجوليان "الجاحد"(361-363) وفالنس(364-378) وفي روما كونستان الأول (337-351) وخلفائه ، حريّ ، إضافة الى ما استعرضنا من خصومات دينية ، بتقييم هذه الفترة الحاسمة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية ومن ثم بيان ردّة فعل تيودوس (379-395) على ما بدا له أنه انهيار روماني شامل. ففي ايطاليا قتل فالنس وهو يحاول التصدي لضغط الفيزيغوط . أما أخوه فالنتيان الأول (364-375) فقد اضطر الى الإقامة في ميلانو قريبا من منطقة ضغط البرابرة الجرمانيين ولم يتمكن إلا بصعوبة ولفترة وجيزة من صدّ هجماتهم وسيقتل أحد الضباط الإفرنج خليفته فلنتيان الثاني (375-392) في محاولة لفرنجة الإمبراطورية.

أما في الشام فالمصادر تتحدث عن ضعف روماني سمح بتمرد أميرة عربية لا يشبهه إلا ما حدث قبل قرن في تدمر على عهد زنوبيا:

" فقد أعلنت ماويّة التي كان زوجها حليف الإمبراطور فالنس (364-378) بعد أن ترمّلت بين 373 و 473 الحرب على الرومان وانتصرت عليهم في فلسطين وفينيقيا بل أخضعت الشمال الشرقي المصري وهزمت قائدا رومانيا دعي لتعزيز الجيش الروماني واضطرت روما الى إجراء مفاوضات معها تحقيقا للسلام"(9)

أما في تامزغا فسيكون الأمر أعظم شأنا على المستويات الثلاثة ، السياسي والديني والاجتماعي اذ ظهرت طيلة هذا القرن خاصة الحركة الدوناتية (نسبة الى دونات) الشبيهة تماما بالحركة الخارجية في شمال أفريقيا زمن الإسلام الأول .وفعلا فقد قامت هذه الحركة على صفويّة دينية جذريّة وعلى معاداة تدجين السياسة الدين وعلى تبنّي قضايا الفلاحين المضطهدين اجتماعيا مما يدفعنا ، لتعقّد مسألة الخوض فيها، الى الاكتفاء بإيراد شاهد على ما رأى فيها واحد من الروائيين المغاربة الكبار لم يخش أن يتبيّن فيها علامات "روح مغربية" تتجاوز هذه الديانة أو تلك:

" ظهر دونات أسقف قرطاج. وقد كان على الرغم من انشقاقه ينتمي الى كنيسة أفريقيا. كان مثل القديس أوغسطين بربريا ولكنه ، خلافا لأب الكنيسة الشهير ، لم يتنكّر لأصوله ولم تمنعه صفة وظيفته الكهنوتية من تمييز الفروق بين الدين والسياسة.كان يعيش بين رعاياه يقاسمهم الآمال والآلام لأنه كان أقرب الى روح الأناجيل من مواطنه الشهير(القديس أوغسطين). ولم يتخلّ عن واجباته الأخلاقية من أجل الوعد بالفوز في الآخرة. لم يكن نبلاء الرومان يأبهون به. ولما اقتنع بتقصير الكنيسة المتعمّد وبأن المظالم الاجتماعية تلقى تسامحا من البابوية ، ومن الأسقفيات ، رفض الاستمرار في الخضوع للتوجيهات البابوية وأصبحت علامات انشقاقه جلية. لقد تعرّض للعنة الكنيسة وتكفيرها إياه ، فاجتمع عليه غضب الكنيسة وغضب العرش ولكنه تعزّى عن ذلك بأن نفث في انتفاضة مواطنيه قوة روحيّة اضطرت روما الى أن تواجه مسؤولياتها. كان ذلك هو أصل نضال السيركونسيليون.وهكذا شهد المرء البربر ، وثنيين ومسيحيين ،يتصدّون في حمية ، جنبا الى جنب ، دفاعا عن حرياتهم ، ويعترضون على كنيسة لم تتردّد ، أخذا منها بالاستعباد وسيلة للهيمنة ، في الاقتران بإمبراطورية متداعية" (10)

انه ليمكننا أن نصدر ما يشبه القانون الطبيعي السياسي في ما يتعلّق بوضع العرب المحكوم بتوازن القوتين العظميين.فكل ضعف يلحق إحداهما أو يلحقهما معا تنجرّ عنه حالة فوضى في الجزيرة العربية. ولن يوجد استثناء لهذه القاعدة إلا عندما تمكّن النبي والقائد السياسي محمد العربي في القرن السابع من تهيئة قومه لاستغلال ناجح لضعف القوتين العالميتين فأحلوا محلّهما الدولة العربية الإسلامية طيلة ثلاثة قرون.

وتبعا لذلك يمكن أن نستنتج أنه وقد وصل وضع الرومان في الشام الى حد تمكنت فيه أميرة عربية تابعة لهم من التمرد عليهم وإلحاق الهزائم بعدد من كبار قادتهم العسكريين فلا بدّ من أن يكون قد حدث ما يشبه ذلك في اليمن. وفعلا فان اليمنيين سوف يستغلون هزائم الرومان في الشام وما انجر عنها من تقلّص دعم الرومان الحبشة الحليفة لإعلان ثورتهم على الأحباش والانتصار عليهم سنة 375 بقيادة ملكي كرب بل

سيرتدّون عن المسيحية مدفوعين بنوع من "الوطنية" لأن هذا الدين ارتبط في أذهانهم بصورة الغزاة الأحباش. فقد توجّه خليفة ملكي كرب ، أبو كرب أسعد (ت 425) سنة 400 " الى المدينة (يثرب) كي يتهوّد وكأنما كان مدفوعا الى ذلك برغبة في مناوأة الدين الجديد الذي دانت به الحبشة عدو بلاده وخصمها العنيد"(11).

إن حالة الانهيار الروماني الشامل نهاية القرن الرابع كان يمكن أن تمثّل فرصة تنتهزها الإمبراطورية الساسانية لقضم أجزاء شاسعة من منطقة النفوذ الروماني لو كانت على قدر من القوة يسمح بذلك ولكنها لم تكن كذلك اذ كانت كالرومان تشكو انخراما داخليا.ورغم هذا الوضع المتردي في الدولتين فإنهما لم تكفا عن الصراع طيلة هذه الفترة.

لقد ورث سابور الثاني (310-379) ، معاصر قسطنطين ، المشهور عند العرب بـ "ذو الأكتاف"، عرشا ساسانيا لا يذكر كثيرا بما كانت عليه الدولة الساسانية طيلة نصف القرن الذي حكم فيه أردشير وسابورالأول. وقد تجلّى هذا الوضع حتى في امتداد فترة من خلفوا هذين الشاهين المؤسسين : فإذا كان سابور قد حكم البلاد ثلث قرن فان خلفاءه الخمسة هرمز (272-293) وبهرام الأول ، قاتل ماني ، (273-276) وبهرام الثاني(276-293)ونرسيس (293-302) وهرمز الثاني(302-309) لم تتجاوز فترة حكمهم أجمعين فترة حكم سابور الأول وحده بكثير.

وممّا زاد الوضع سوءا أن سابور الثاني لم يكن وهو يتسلم الحكم إلا طفلا في وصاية أمه التي كانت تسيّر شؤون الدولة مستعينة بكبار رجال البلاط الساساني الذين تركّزت سياستهم على الدفاع عن حدود الإمبراطورية المهدّدة من الجهات الأربع:ففي الشمال والغرب اشتدّ الضغط الروماني (على الرغم من ضعف الدولة الرومانية) وتعدّدت وجوهه بعد تنصّر الدولة فأعلن تريدات(294-324) ، ملك أرمينية استقلال بلاده عن الساسانيين بعد أن اعتنق المسيحية فضمن دعم الرومان. وفي الشرق اشتد ضغط الترك على بلخ (باكتريان).أما في الجنوب فقد تقلّص دور إمارة الحيرة نتيجة ضعف الدولة الساسانية الحامية وانجرّ عن ذلك ضغط بدوي عربي على الحدود الساسانية.

كتب ابن خلدون الذي لا تهمل فلسفته التاريخية العامل الاقتصادي في ذلك:

" وشاع في أطراف المملكة أنهم (يقصد الساسانيين) يولّون صبيا في المهد فطمع فيهم الترك والروم. وكانت بلاد العرب أدنى بلادهم وهم أحوج الى تناول الحبوب من البلاد لحاجتهم إليها بما هم فيه من الشظف وسوء العيش.فسار منهم جمع من ناحية البحرين وبلاد القيس ووحاظة فأناخوا على بلاد فارس من ناحيتهم وغلبوا أهلها على الماشية والحرث والمعايش ، وأكثروا الفساد ومكثوا في ذلك حينا ولم يغزهم أحد من فارس ولا دافعهم لصغر الملك "(12)

هذا الخطر الذي كان يهدّد وجود الدولة الساسانية على حدودها الأربعة هو الذي حدّد سياسة سابور الثاني منذ أن تسلم الحكم بصورة فعلية في ثلاثينات القرن الرابع فشرع في دفع هذا الخطر مبتدئا بالعرب البدو لقربهم من عاصمته:

" وكان أول شيء ابتدأ به شأن العرب فجهّز إليهم العساكر وعهد إليهم أن لا يبقوا على أحد ممّن لقوا منهم. ثم شخص بنفسه إليهم وغزاهم وهم غازون ببلاد فارس فقتلهم أبرح القتل وهربوا أمامه وأجاز البحر في طلبهم الى الخطّ وتعدّى الى بلاد البحرين قتلا وتخريبا ثم غزا بعدها رؤوس العرب من تميم وبكر وعبد القيس فأثخن فيهم وأباد عبد القيس ولحق فلّهم بالرمال ثم أتى اليمامة فقتل وأسر وخرّب، ثم عطف الى بلاد بكر وتغلب ما بين مملكة فارس ومناظر الروم بالشام فقتل من وجد هناك من العرب وطمّ مياههم" (13)

وتذكر بعض كتب الأدب أن سياسة سابور الثاني إزاء العرب كانت منتظرة لم تفاجئ المعاصرين اذ أن كل ضعف في الدولتين الساسانية والرومانية كان ينجرّ عنه مدّ عربي بدوي نحو مناطق الشمال الخصبة فهذا لقيط بن يعمر الشاعر الايادي الذي كان في خدمة الساسانيين يبعث ، على ما تروي الأخبار القديمة ، الى قومه قبل الواقعة محذّرا :

يا أيها الراكب المزجي مطيّته الى الجزيرة مرتادا ومنتجعا
لا تلهكم ابل ليست لكم ابل إن العدوّ بعظم منكم قرعا

إن اتساع حملة سابور تؤكّد ما ذهب إليه عدد من المؤرخين ومفاده أن مملكة الحيرة فقدت دورها منذ موت امرئ القيس بن عدي في النمارة بعد انضمامه الى الرومان(ت 328) ولن تستعيد هذا الدور إلا في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس على عهدي النعمان السائح(ت 418) وابنه المنذر (418-452).

هذا الفراغ هو الذي عبّر عنه ابن خلدون عندما كتب:

" ولي مكانه (يقصد امرئ القيس) أوس بن قلام العمليقي(...)ثم سار به جحجبا بن عتيك بن لجم فقتله وولي مكانه(...) ثم ملك..."(14)

هكذا حاول سابور الثاني نشر سلطة الساسانيين من جديد في بلاد الخليج وما بين النهرين حتى الجزيرة. ولقد ضمّ البحرين الى ممتلكاته ولكنه لم يتمكن من إخضاع عرب هذه المناطق إخضاعا تاما اذ سنجدهم ينضمون الى يوليانوس الجاحد (361-363) عندما هاجم سابور الثاني ل"ثأرهم عند سابور بمن قتل منهم(...) فأحجم عن اللقاء وصبحه العرب ففضّوا جموعه وهرب في فلّ من عسكره"(15) بل إننا نعثر على وقائع لهم ضد الساسانيين على عهد عدد من خلفاء سابور الثاني ، أردشير الثاني (379-383) وسابور الثالث (383-388) الذي كانت له ضدّ اياد حروب ذكرها شاعرهم في قوله :

علـــى رغـم سابـــور بن سابور أصبـــ حت قبـــاب إياد حــــولها الخـيل والنعم

انه لا سبيل الى فهم انكفاء النفوذ الساساني في بلاد العرب إلا بالتذكير بما كانت تتعرض له الإمبراطورية من ضغط على كل الحدود. وإذا كانت الحروب الرومانية الساسانية المتتالية (345 ، 363) ستفضي الى عقد صلح بين سابور الثاني وجوفيـــان(363- 364) يمكّن الدولتين من التفرغ للدفاع عن حدودهما ، فان النشاط الروماني لخنق الاقتصاد الساساني لن يتوقف.وقد اتّخذ له أثناء فترة الصلح وسيلة جديدة تتمثل في التسلل الى اليمن عن طريق الأحباش المونوفيزيين. وإذن فان اضطرار سابور الثاني للدفاع عن الامبراورية الساسانية على كل الجبهات وسعيه الى منع اكتمال عملية التطويق الاقتصادي هما اللذان يفسران الى حــدّ كبير ارتخاء اليد الساسانية إزاء قبائل البدو العربية ونتيجة لذلك ضعف امارة الحيـرة.

وإذا كان هذا هو وضع سابور الثاني الذي كان "يخلع أكتاف العرب ولذلك لقبه العرب ذو الأكتاف"(16) ففي الإمكان أن يتصور المرء وضع خلفائه أردشير الثاني (379- 383)وسابور الثالث(383- 388) وبهرام الرابع(388- 399) الذين كانت فترة حكمهم فترة باهتة مقارنة بفترة حكم سابور: فلقد حكم الأول البلاد مدّة أربع سنوات كانت مثالا للضعف من ناحية ولردود الفعل الدينية على سياسة تيودوس التبشيريّة من ناحية ثانية. أما سابور الثالث فقد حكم البلاد خمس سنوات اتّسمت بالضعف كذلك وكان مصيره القتل. ولم يختلف مصير بهرام الرابع عن مصير أخيه فضربا بحياتهما مثالا واضحا على الفرق الشاسع بين ما كان عليه أبوهما سابور من قوة وهيبة وامتداد فترة حكم وما كانا عليه من ضعف وقصر فترة حكم بل ضربا مثلا على شبه القاعدة التي تقول انه ما امتد سلطان ملك قاهر في الزمن إلا قصّر ذلك من سلطان خلفائه لأن الحكم القاهر الطويل لا يسمح بنوّ نبت سياسي حنّكته التجربـــة فيرث الحكم ويتّميه ولذلك لن يستقرّ الحكم الساساني إلا على يدي يزدجرد الأول (399- 420) ، هذا الذي ستسميه العرب "يزدجرد الأثيم" وقد لا يكون له من الإثم غير سعيه الى تجديد الدولـــة فاستقرّت في عهده. وباستقرارها عادت الحياة الى امارة الحيـــرة فبرزت شخصيـــة النعمان الأكبر (ت 418) المشهور بألقاب "الأعور" و "السائح" و "صاحـب الخورنق" وكذلك شخصيـــة ابنه المنـــذر (418- 452) الذي كان له شأن في سياسة إيران الداخلية (تولية بهرام الخامس) والخارجية (مشاركته في حرب الروم 421 - 422) فخمدت غزوات العرب البدو في المنطقة الى حين.

وإذن فانّه يمكــن القول إن حكمي كل من تيودوس ويزدجر لم يكونا غير محاولة لإعادة التوازن المفقود في الدولتين العظميين الخصمين.

1.هافنيث ،العرب المسيحيون البدو ، ص 65

2.المرجع السابق، ص 65.

3.النجار، علاقة ، ص 13

4. هافنيث ،العرب المسيحيون البدو

Gaudefroy-Demombynes et autres, L’Islam et la politique contemporaine, 1925, p.10².5

6, بول ليميرل ، تاريخ بيزنطة ، ص 19

7.بول ليميرل، المرجع سالف الذكر ، 19.

8.بيير روندو ، مسيحيو الشرق ، ص 35.

9.هافنيث ، العرب المسيحيون البدو ، ص 51

10.علي الحمامي ، إدريس رواية شمال أفريقية ، تونس ، المركز الوطني للترجمة ، 2010، ص 41.

11. النجار، علاقة ـ ص 13.

12.ابن خلدون ، العبر ، ج 3 صص 347- 348.

13.ابن خلدون، المرجع السابق، ص 348

14.ابن خلدون، المرجع السابق، ص 349.

15.ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص 350

16.ابن خلدون، المرجع السابق، ص 349.